

اليوتوبيا وفلسفة الأمل Utopia and the philosophy of hope

جامعة سعيدة	شريف الدين بن دوبه charif.bendouba@univ-saida.dz
جامعة سعيدة	شادلي هواري chadlihouari@gmail.com

الإرسال: 2021/02/09 القبول: 2021/02/24 النشر: 2021/02/26

الملخص:

الايوتوبيا او الطوبواوية. علامة اعتباطية أبدعها المفكر الانجليزي توماس مور، عنون بها روايته، التي أصبحت منذ سنة 1516 وثيقة تعقيدية للملح النحت الموردي تشذ عن قاعدة الاندثار اللاحق بطبيعة العلامة، إذ لوحظ من خلال القراءات المتعددة للايوتوبيا قابلية الكلمة للتأويل، لدرجة أصبحت فيها كلمة إيتوبيا مدرسة لفن جديد في الدراسات السيميائية، ولنمط جديد في الكتابة، وفضاء خصب لاستنطاق آفاق جديدة في عالم العلامة، وفي هذه الدراسة نروم البحث في السياق التأويلي للكلمة، وفي مجالات التوظيف التي استثمرت فيه الكلمة.

الكلمات المفتاحية:

ايتوبيا، طوبيا، يوتوبيا، اودوتوبيا، ديستوبيا، تأويل، فن العلامة، مشروع مجتمع. عدالة. استيلااب

Abstract

utopia is a mark created by the English thinker Thomas Moore, and as title of his nove which became from 1516; a reference document functionality of the Moorienne sculpture .making an exception to the theory of extinction Subsequent to the nature of the mark, a statement was made after various readings about the term Utopia, its viability, to a point where the word Utopia became a new Art school in semiotic studies, and a new kind in writing and a which became a space for interviewing new horizons worldwide of the mark.

Keywords: utopia, distopy Interpretation , Writing forgotten, The art of the mark, Possibility. Community project. Justice. alienation.

* شريف الدين بن دوبه، charif.bendouba@univ-saida.dz

توطئة :

الفرق بين الفهم والتفسير في التعاطي البحثي مع المفاهيم أو الظواهر يحاكي الفرق بين عالم الطبيعة وعالم الانسان، والمترب الذهني على هذه العلائق القائمة بين الحدود الاربعة نسبية الدقة، وليس الغياب، لأن زئبقية المعاني الانسانية تمنح النسبية صبغة المشروعية، وطبيعة الألفاظ التي تكوّن صور التفكير تكون في غالب الاحوال قبورا للمعاني التي تأمل في حملها، إذ تجعل صيغ الأشكلة عنوانا للبحث فيها، ولكن الفعل العدمي الممارس من طرف العلامة حول المعنى لا يُلغي حتمية قيام العلامة، بل يضيف على انطولوجيتها السمة الضرورية في الوجود، وإن كانت دلالة الضرورية بين العلامة والمفهوم مسألة إشكالية بين فلاسفة اللغة.

يتفق بني البشر أن النحت أو الاصطلاح اللغوي من المؤشّرات السيكلولوجية والاجتماعية على عبقرية العقل البشري، وملكة الترميز عنده علامة مائزة تسمو به على عالم الكائنات الدنيا، فالكون في غياب الرمز مجرد متاهة، والعلامة الإنسانية على كائنية الانسان تكمن في اللغة، الكائنية المتمثلة في كينونة الأنا بالإنية، وليس كائنية الانسان في الأنا.

كما أن مرجعية الابداع النصّي تكمن في القدرة على البناء اللغوي، أو في خلق النص، لأن المادة اللغوية بشكل خاص، والفكرية بوجه أعمّ معطاة لجميع الأفراد الناطقين باللغة، ولكن التميّز داخل المجال اللغوي يعود الى القدرة على الرسم اللغوي، والتفنن في إنشاء منظومة لغوية تسمح بتنميط المبدع في نسقه الخاص الذي يكوّن هويته أو وليدا شرعيا لتلك الشخصية، والمطلوب البحثي في هذه الدراسة تحركه الرغبة في تسليط الضوء على صنف أدبي ارتبط وجوده باصطلاح إنساني فردي، وبلاهائية الامتداد، إذ لم تقف دلالات الاصطلاح الجديد عند الحدود التي رسمها لها صاحبها وإن كان الإيحاء الذي اختاره يندّ عن كل تحديد أو تأطير جغرافي، أو تاريخي، أو مستقبلي، إنه مصطلح ايتوبيا.

ايتوبيا، طوبيا، يوتوبيا :

يضع لفظ " ايتوبيا" القارئ أمام جملة من المفارقات الفكرية، أهمها الحضور في مجال الانسان وفي ميدان العلوم، والذين يشكّلان من حيث الطبيعة حقلين متضادين، ففكرة النموذج والمثال ليست حكرًا على الفلسفة أو الادب فقط بل تكون مطلبا منهجيا في جِلّ العلوم، فعلم العمران Architecture مثلا تتأسس في كثير من النظريات العمرانية على التصورات النظرية الايتوبية فبحسب Bruno " ..إن لكل بناء معماري قواعد للايتوبيات التي تعين المشاريع السابقة على تحقيقه والتي تنقلها عادة بعيدة عن النتيجة المبنية في الواقع"¹.

فالارشيتوبيا Architopie كمبحث علمي تأسس على ضرورة الايتوبيا، لأن المخيال والقدرة التصويرية عند عالم العمران مقياس للعبقرية داخل هذا الحقل، فهو الايتوبي نموذج معطى، ولازم في

1 خوسيه ميغيل بويرطا، البنية الطوباوية لقصور الحمراء، مجلة العرب والفكر العالمي العدد: 20/19. 1992.

حركة المجتمع، واستيعاب الحركة في أفق الجماعة هو المطلوب وليس العكس، أي ان يصح الافق الذي يمثل بالنسبة للجماعة قطبا للحركة هو الحركة، ويلمس هذا في اكتساب العادات الاجتماعية السمة السكونية في حين أن العادات في الحقيقة لا تمثل إلا أدوات اجتماعية في بلوغ النموذج المرتقب، وعندما تتحول الوسيلة الى غاية تصبح الأمة مجرد شبح، يقول احد المختصين في هذا الحقل: "مجتمع دون ايتوبيا، مجتمع مهدد بالموت.." و"ايتوبيا الأمس هي اليوم الواقع"، والبحث العلمي في صورته الكلية يتحرك تبعا لمبدأ النموذج الذي يستقطبه، وفلسفة النموذج تشكل روح ايتوبيا، أما توظيف العلوم الانسانية لمفاهيم ايتوبيا، فهي من الكثرة بمكان يجعل استحالة غيابها في فرع منها أمراً بدهيا، فبروز جنس أدبي يعرف بالأدب ايتوبيي دليل على قوة هذا الأصل اللغوي، كما أن أدب الرحلات الذي تمتد جذوره الى ما قبل ابتكار ايتوبيا يجد ايضا في ايتوبيا معينا يُعزّز به تصوراته ومخيلته الفني او الفلسفي.

يظهر من خلال بناء كلمة ايتوبيا الصوتي، واللفظي الطابع الغرائبي للفظ ايتوبيا على المؤسسة اللغوية العربية، على غرار كثير من الألفاظ مثل كلمة "فلسفة" وجميع أفراد عائلتها، والذين يجدون شجرة النسب ومرجعية الانتماء ممتدة ومستمدّة من لغة وثقافة الإغريق، إذ أن تاريخ النحت الاصطلاحي للكلمة "ايتوبيا" يقترن باسم الفيلسوف الانجليزي "توماس مور" وكتابه المعنون بـ "ايتوبيا" والذي ضمّنه رحلة بحار اسمه رافائيل هتلوداي لجزيرة اسمها ايتوبيا، تعيش في ظل نظام اجتماعي محكم التأسيس والتسييس.

المرجعية الايتيمولوجية التي اعتمدها توماس "مور" في تواضعية المصطلح إذن اغريقية بحته، فهي مركبة من ou وتعني no أي اللا، و topos تعني أي مكان place، والكلمة تعني no place أو No where، وتصبح ايتوبيا: ليست مكانا، أو اللامكان¹، ورغم ان البعض من المختصين في الدراسات ايتوبوية يعتقد أن لفظة ايتوبيا هي ترجمة للفظة اللاتينية "nusquama" المشتقة من (e = Nusquam) والنترجمة الحرفية للمصطلح تشير إلى أن دلالة الكلمة هي "اللامكان" أو لا مكان له " أو ما لا أين له " ومعناه المكان الذي لا وجود له في أي مكان"².

يذهب تييري باكو الى ان فكرة الايتوبيا عند توماس مور تعود بالأصل الى ايرازموس، حيث يلمس هذا في كتابه مدح الجنون "éloge de la folie" المقابلة في التي اقامها إيرازم Erasmus بين الجنون والحكمة، يقول له. مخاطبا توماس مور: "لقد فكّرت في اسمك: مورالذي يقترب كثيرا من دلالات الجنون، وان كان يبعد كثيرا عن شخصك"³.

الاتضع ايتوبويا نفسها منذ البداية تحت شارة الجنون؟ إذا كان قطار العالم غباوة، فإن اللجوء الى الجنون يصبح حكمة أو حكمة موروية morosophie لقد ظهرت صلات معتقدة بين ايتوبيا والجنون

1 جميل صليبا، المعجم الفلسفي الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت. 1982، ص 24. (د.ط)

2 عبد العزيز لبيب، الايتوبيا والايطوبيات، مجلة فصول المجلد 7 العدد: 4/3 سبتمبر 1987 ص: 123

3 Erasmus. Eloge de la folie, trd: marie delcourt.flammarion paris 1987.p.8

في مؤلف توماس مور : صلة جائزة بين الاسم العائلي للمؤلف وكلمة موريا (morja) اليونانية التي تعني الجنون

يبدو أن قراءة ايرازم تطرح مجموعة من الدلالات، او يعتمد على نصوص ثقافية يقعد بها المقاربة بين توماس مور والجنون، ومنها ما عرف بسفينة المجانين في العصر الكلاسيكي، إذ كانت هذه الفئة ترسل عبر البحار بغرض التطهير، أو بغرض استغلال هؤلاء لاكتشافات جغرافية، تمكّن النخبة في السلطة، أو النبلاء من الحصول على الثروة، والزيادة فيها، حيث كانت تمثّل الهاجس الأساس عند هؤلاء، فالابحار كما يقول فوكو: " يسلم الانسان الى قدر غير محدد، كل انسان يسلم نفسه الى قدره. وكل رحيل هو بالقوة آخر رحلة، ففي اتجاه العالم الآخر يسير المجنون على ظهر زورق أحمر، ومن العالم الآخر يأتي عندما يحطّ الرجال. إن إبحار المجنون هذا، هو في الوقت ذاته تمييز صارم، وانتقال مطلق انه يقوم بتطوير الوضعية الاستهلاكية للجنون، ضمن جغرافية شبه واقعية وشبه متخيلة، عند انسان القرون الوسطى..تانه موضوع داخل الخارج، والغكس صحيح . أنها وضعية بالغة الرمزية ..فما كان يشكل قديما قلعة مرئية للنظام، قد تحول الآن الى صرح لضميرنا.¹

أما الترجمات العربية لكلمة utopie فهي متعددة، ومنها كلمة (طوبى) (الطوبى)، ويجدها البعض مناسبة مثل " خوسيه ميغيل بويرطا في تعريب الكلمة، لأن دلالة كلمة ايتوبيا كمكان غير موجود، ونموذجي يتقاطع مع الأمكنة السعيدة، فهي أي الطوباوية ": تدل عند أيضا على الامكنة الممتعة وعن اللاموجود او غير المدرك بالحواس².

المرجعية التأليلية، والفضاء الثقافي الذي يقعد عليه ترجمة الكلمة ايتوبيا الى طوبيا هو التراث العربي والاسلامي عموما، ففي اللغة العربية كلمة (طوبى) (الطوبى) وهي مصدر بمعنى الطيب أصله طيبى، قلبت الياء واولسكونها بعد ضمة، وهي أيضا جمع الطيبة بالكسر وهو من نوادر الجموع³ ونجد في القرآن الكريم ذكر كلمة طوبى في الآية الثالثة عشر من سورة الرعد، وفي الآية 29: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ)، والدلالة المشهورة لكلمة (طوبى) عند جمهور المسلمين هي أنها شجرة في الجنة ظلها مسيرة مائة عام، وما نرغب في الإشارة إليه هو وجود بعض الروايات تفسّر كلمة (طوبى) بالجنة أو أرض الأحلام، وسند الرواية هو سعيد بن جبير رضي الله عنه، والنص نوره من تفسير الخازن وهو: " قال الأزهري طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين، وقال سعيد بن جبير: طوبى اسم الجنة بالحيشية "⁴، فكلمة طوبى تشير إلى الجنة في لغة

¹ ميشال فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الاولى 2006 ص 32

² خوسيه ميغيل بويرطا، البنية الطوباوية لقصص الحمراء، مرجع سابق، ص: 5

³ عبد الله البستاني، البستان (معجم لغوي)، ج2، (حرف الطاء) المطبعة الأميركية، بيروت 1930 (د، ط)

⁴ علاء الدين بن علي الخازن، تفسير الخازن، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، (د، ط، ت) ص: 230

الحبشة والجنة مكان غير موجود في مكان أرضي بل كمال يطمح إليه الإنسان، كما وجدنا نصّ الرواية بإضافات في تفسير (ابن كثير الدمشقي [774 هـ]) مع ذكر السند الذي اعتمد عليه الصحابي سعيد بن جبير الذي هو ابن عباس رضي الله عنهم أجمعين، والنص (وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: طوبى لهم قال هي أرض الجنة بالحبشية، وقال سعيد بن مسجوع طوبى اسم الجنة بالهندية وكذا رواه السيدي عن عكرمة طوبى لهم هي الجنة)¹.

لاحظنا أن الأستاذ خليل أحمد خليل في ترجمته لكتاب Utopies et Les Utopistes للمؤلف تييري باكو Thierry Paquot يستخدم الكلمة "طوبيا والطوباويون"، كبديل لكلمة ايتوبيا رغم ان النص الذي يعتمد عليه مؤلف الكاتب يؤكّد الفرق بين الكلمتين "ايتوبيا" و "طوبيا": "طوبيا، من اجل عزلتي كما سماه القدماء... منافسة هي للمدينة التي صاحبها أفلاطون.. عليها ربما تفوقت لانني بمجرد حروف رسمت بها... كنت وحدي قد وضحتها.. فالطوبيا اسم يدين لي المرء به ولا جدال في ذلك. Eutopia أو "الطيب" الصالح eu باليونانية، والمكان Topos باليونانية، من هنا جاءت عبارة "بلد السعادة"، وبالتالي فإن ذلك البلد الذي لا وجود له على أية خارطة utopia قد يكون أفضل العوالم Eutopia.²

التفرقة واضحة في النص الأصلي للكتاب، وما يدفع الى الغرابة أن الأستاذ خليل احمد خليل لم يلتزم فيه بالتفرقة التي يشير اليها مور في نص الكتاب، إذ نجده يترجم الكتاب الى طوبيا والطوباويين، والاصوب هو ايتوبيا والايتوبيين، والترجمة الى طوباوية يجدها البعض من المتخصصين في اليوتوبيا غير مناسبة، لأن اليوتوبيا هي الأين الذي لا أين له أو مدينة غير موجودة في أي مكان، أما الطوبى فهي ارض السعادة، ويستند على وجوب التفرقة بين كلمة : utopia وكلمة eutopia.³

البعد الأدبي في الايتوبيا كفن، وكجنس لغوي لا يمثل إلا زاوية من لحاظ هذه الكتابة، إذ نجد كثيرا من الفنون تنتظر ضوء البحث، فهي تتضمن مثل البحر الذي تتقاطع فيه جميع الايتوبيات، جميع القيم، والمعاني، فهي لعبة منطقية، تقترح الكثير من الحلول لإشكاليات منطقية مثل الحد وعلاقته بالواقع..

فهي أي الايتوبيا لعبة منطقية، جدلية تطرح البدائل من خلال قضايا متعارضة، او متضادة بغية إقامة حقائق، يطرحها الكاتب في صيغ متناقضة، فهي " لعبة بازل puzzle بالغة التعقيد ، أحيانا ما تأتي حلولها بنحو فجائي، أو هي حيل من شأنها الجمع بين قطعتين غير موصولتين وصلا دقيقا..فهي لعبة منطقية حقيقية يطلق فيها العنان للمهارة والحرص التام على التفاصيل ودهاء المؤلف أحيانا والمعيته.⁴

الايتوبيا والديستوبيا :Dystopie

1 إسماعيل ابن كثير، تفسير ابن كثير، المكتبة التجارية الكبرى، ج2، مصر، ص: 512 (د.ط.ت)

² تييري باكو، طوبيا والطوباويون، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفارابي بيروت ط.1-2008 ص ص : 17/16

³ مجلة فصول العدد 3-4 المجلد السابع ابريل سبتمبر 1987 ص 124

⁴ تييري باكو مرجع سابق ، ص: 29

لا تعمل المقاربة الماهوية للنص إلا على انفلات المعنى داخل النص، على قاعدة التدقيق الذي تفرضه الدراسة التخصصية للموضوع. فطبيعة النص العلمي أو بتعبير أدق الحادثة العلمية مؤطرة بحدود زمكانية، لا يمكنها التعالي عليها طلقاً، أما النص الأدبي أو الفني فزئبقيته والخصوصية الندية التي يستبطنها تمنحه بالأصل القيمة الفنية، ولذا سنحاول الاستئناس بمنهجية المقابلة النصية، أي بمقارنة النص الايتوبي بالنص الديدستوبي او Distopique.

الديدستوبيا: كلمة مركبة من ديس، وتوبي، و ديس Dys ترجع الى كلمة -δυσ الاغريقية، وتعني النفي، والسيء، الصعب، وكلمة ديس في الاغريقية تقابل (او- Εὔ) السعيد، واللطيف في الأمران توماس مور أخذ الجذر الاغريقي لكلمة (ou) بمعنى النفي négation، وأضاف اليه ضمناً دلالة السعادة أي ان ايتوبيا utopia بمعنى المكان الذي لا مكان له، يستبطن السعادة التي هي الاوتوبيا eutopia، ف (أو) كني تفيد المقابل وليس السيء، لأن المعنى الذي يترتب عن (ديس) هو السلب، أي الراجع لدلالة السعادة عن الواقع، وايتوبيا هي المكان الذي لا مكان له، والديدستوبيا هي المكان الذي لا يتوفر عن السعادة وفي الاصطلاح اخذت الديدستوبيا دلالات منها نقيض الايتوبيا، أو ضد ايتوبي : contre utopie و anti utopie. فالنمط ضد ايتوبي يكمن في المحركات الاجتماعية والاستشرافية للانسان، الطامح الى السعادة، والطمأنينة او الاتراكسيا، وهي ما يمكن تسميته باليوتوبيات القاتلة. les utopies mortelles الفلسفات الشمولية التي تقضي كل تميز، وكل خصوصية شخصية، ويصبح الابداع غائبا عن ساحة التوزيع بين الافراد او المواطنين.

الايتوبيا والايديوتوبيا :udetopia:

يمكن الانطلاق من دلالة افتراضية تقترحها الايتوبيا، وهي فن الغموض والالتباس الذي تصعنا فيه الايتوبيا، فعظمة توماس مور البلاغية والسيماثية لا زالت في طور الاكتشاف، إذ نجد تقاربا بين العلامة، والدلالة بينها وبين كلمة ايدوتوبيا، والتي تعني المكان الغير موجود في أي زمن، فالمدينة الايتوبية هي مدينة متحررة من قيد الزمن، وقيد المكان، فهي كإمكانية قد توجد في الزمن القديم، وقد توجد في أزمنة مستقبلية، وهي ما عبرت عنه قصص وروايات الخيال العلمي، التي طرحت الزمن كموضوعة اجتماعية، وليس كظاهرة فيزيائية، وأصبح الحصول على السعادة، واكتشاف الحقيقة، والاستقرار داخلها لا يتم إلا بالتحرر من الزمن، وفكرة التعالي على الزمن تحيل المتلقي الى قراءة التراث الأسطوري، والذي يمثل طفولة الانسانية، إذ نجد تقاطعا واضحا بين الأفكار الطوباوية في بناء وتصور مجتمع السعادة، مع فكرة الحنين إلى الفردوس في التراث البدائي.

تصنّف الأساطير الفردوسية إلى مجموعتين، تتحدث الأولى عن اقتراب السماء من الأرض، وهي مجموعة قصص تصور السهولة والبساطة التي كان يعيشها إنسان ذلك العهد، أو بتعبير حديث الإنسان الطوباوي، فهو قريب من الأرض وقريب من السماء، فالتواصل مع عالم الفردوس الأصلي، أو عالم المثل كما يعبر عنه أفلاطون يتم بوسيلة حسية هي السفر أو الرحلات، وينبغي الإشارة إلى أن الرحلات خاصية ماهوية في طبيعة الخطاب الطوباوي، والتي سنتعرض لها لاحقا بالتفصيل، أما المجموعة

الثانية من الأساطير الفردوسية، فهي توجّه الانتباه إلى الوسيلة الحسية التي تؤمّن الاتصال بين السماء والأرض، والإنسان النموذجي الذي تقدمه هذه الأساطير هو الإنسان الأول الذي كان متمتعاً بالسعادة، والغبطة، والعفوية، وبالحرية التي فقدتها مكرها، عقب السقوط، أي عقب حدث أسطوري سبب القطيعة بين السماء والأرض.¹

ومن التصنيفات المعتمدة لدى علماء الانثروبولوجيا في دراسة الأساطير ما يعرف بأساطير العهد الفردوسي، والتي تتقاطع من حيث المحتوى في القول بوجود عالم خال من الآلام، عالم سعادة، ويعبر عن ذلك بومان boumann بقوله: " في ذلك الزمان، لم يعرف الإنسان الموت، كان يفهم لغة الحيوانات، وكان يعيش معها على وئام، لم يكذب ويكدهج، وكان الغذاء الوفير في متناول اليد"².

ومنها أيضاً تلك النماذج التي الأسطورية أسطورة العصر الذهبي السومرية، والتي نجد النص التالي يعبر أصدق تعبير عن ذلك الحلم، أو الأمل بالعودة إلى العصر الذهبي أو المجتمع الطوباوي وهو: "في تلك الأيام، لم يكن هناك حياة ولا عقرب ولا ضبع.. لم يكن هناك أسد ولا كلب شرس ولا ذئب.. لم يكن هناك خوف ولا رعب.. لم يكن للإنسان من منافس.. في تلك الأيام كانت شوبور أرض المشرق، أرض الوفرة وشرائع العدل.. وسومر أرض الجنوب، ذات اللسان الواحد، أرض الشرائع الملكية.. وأورى أرض الشمال، الأرض التي يجد فيها كل حاجته.. ومارتو أرض الغرب أرض الدعة والأمان.. وكان العالم يعيش اجمع في انسجام تام. ويلسان واحد يسبح الكل بحمد انليل..."³

الغاية المحرّكة والمتخفية في النص الايتوبي هي البحث عن الحكمة، والمكان المثالي أو المطلوب في المكان الجديد هو إقامة الوجود الاجتماعي على الحكمة، المقابلة لعالم الجنون الذي يعيشه البشر في مكانهم الوهسي، والذي يتمّ من خلال رفض وتجاوز العقل الجمعي وآلياته في مخيال المكان، ووهمية المكان المبني من خلال الذهن أطروحة تبنّتها المدرسة اللامادية بريادة جورج بيركلي George Berkeley، وتندلمس الصورة الاشكالية لمخيال المكان من مسائل الفلسفة التقليدية، فتصورات المكان هي الاصل والوثيقة المرجعية لكثير من الحقائق البشرية، والأمل عند توماس مور يكمن في بناء عالم جديد ايتوبيا كمدينة تجسّد الحكمة في مقابل الحكمة المجنونة التي تملك السلطة، بشتى صورها الضاغطة على الذات ذات الفرد وذات الجماعة، وتبقى الايتوبيا تطرح على مستوى البحث كثيرا من الإشكالات، الفلسفية والسياسية والدينية.. فهي تدفع الباحث الى إعادة ترتيب آليات القراءة، فهي فن وتأسيس للكتابة الرمزية. الايتوبيا وأفاق العنوان :

الفضاء التأويلي الذي تحمله النصوص يضع المتلقّي أمام متاهة فكرية يعيش فيها مع التصورات والأفكار أثناء القراءة لحظة تشظي على مستوى الفهم، ويعاين بعين التأمل مبدأ التوازي الحاكم على كثير

¹ ميرسيا اليا، الأساطير والأحلام والأسرار: ص: 98

² ميرسيا اليا، مرجع سابق، ص 97

³ فراس السواح، مغامرات العقل الاولى، دار علاء الدين، دمشق، ط: 11 - 1996 ص 238

من بواطن النصوص، وقد كانت السمة والبعد اللانهائي لنسبة الاحتمالات التي يوضع الفهم فيها خلف كثير من المباحث الجديدة، والتي اقتضتها التعددية المنهجية، او المنهجية التداخلية المتعددة الاختصاصات La Méthode Pluridiscipline التي تنبع من عمق الدراسات الانسانية. ونظرية العنوان من اساليب الفكر الجديدة التي فتحت امام الباحث كثيرا من المغالقات الفكرية التي كانت تحجب المعاني واللطائف الحقيقية عنه في المجال الموضوعي، ومجال الذات، وهي عبر دراساتها تهدف الى مساعدة القارئ في سير واكتناه المعاني والدلالات المستبطنه داخل النص، فهو أي العنوان. في نظريات النص الحديثة عتبه قرائية، وعنصر من العناصر الموازية التي يسهم في تلقي النصوص، وفهمها، وتأويلها داخل فعل قرائي شمولي، يفعل العلاقات الكائنة والممكنة بينهما.¹

مكنت النتائج المستخلصة في ميدان نظرية العنوان في الفضاءات الفكرية، ومنها الدراسات القرآنية، والتي لازلنا نترنح بين سلطة الماضي، أو ما يصطلح عليه بالسلفية التراثية، وبين سلطة الحداثة الغربية، التي سلبت بهرجها عقل الشرقي المطبوع على الافتتان بكل ماهو جميل سواء على مستوى الشكل أو المضمون، الباحث الموضوعي في مسائل التراث الاسلامي من تجاوز العوائق الذاتية والموضوعية، والمفروضة على عملية البحث. فبعدما كانت الدلالات الدقيقة لأي القرآن الكريم عصية على الاحاطة من طرف القارئ، ومحجوبة عنه على قاعدة التعلق المغروس في الجبلة الانسانية بالطبيعة المادية، او ما يصطلح عليه في السياق العقائدي بالحياة الدنيا، أصبحت من خلال نظرية العنوان ممكنة الإدراك، إذا أن إمكانية القراءة او الفهم لرمزية العناوين يكشف عن القدرة على اكتناه الرسائل التي تقدمها السلطة المتعالية، فعناوين السور تساعد القارئ على إمالة اللثام عن بعض لحاظ الآيات الكريمة، مع الاحتفاظ بالدلالة القطعية التي يحملها المعنى الظاهر في الآية "إلا الراسخون في العلم"، والتي تضع التأويل الانساني أمام النخبة الفكرية التي ارتضاها الله لحمل حكمته المتعالية محلّ مراجعة، وأمام محكّ التصادم والصراع التأويلي، والذي انحرف عن مساره الطبيعي الذي هو الاثراء، الى وضعيته الدنيا التي تأخذ عنوانا مميزا الا هو: "سفك الدماء"، وسنستأنس ببعض المحاولات الاجتماعية في استثمار نظرية العنوان.

اعتمد بعض الباحثين في الحقل الاجتماعي، خصوصا المهتمين بعلم الاجتماع الديني آليات نظرية العنوان المنهجية في دراسة القرآن الكريم، من خلال تفكيك معاني العناوين التي أخذتها السور القرآنية، وقد تم الاعتماد على معايير علمية في التصنيف مثل وضع العناوين المتعلقة بقضايا طبيعية جامدة او حية مثل سورة الرعد او سورة النمل، ضمن مجموعة معينة، والعناوين المتعلقة بسير الانبياء في زمرة التاريخ، مثل سورة نوح "عليه السلام"، يوسف "عليه السلام"، الانبياء وكانت النتائج المستخلصة من خلال المقارنة والتحليل ان المسائل الطبيعية أخذت من السور القرآنية ما يقدر بـ 32 سورة... كما أكدت النتائج الاحصائية الطابع العلمي للقرآن الكريم، اما السور المتضمنة لمسائل العبادات والشعائر الدينية

¹ محمد بازي، العنوان في الثقافة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر الطبعة الاولى 2012 ص 15

فتقدر بسورتين¹ ومنه نستخلص أن المنحى العلمي والتفكري (التأملي) سنخية أصلية في الاسلام النموذجي والأصيل، وليس في الفكر الديني، ومشروع الاستاذ محمد أركون قائما على إمالة اللثام وحجاب الجهل عن هذه المسألة بالذات مسألة الوصل الدلالي بين الدين والفكر الديني .

تبدو نظرية العنوان ضرورة بحثية، ومنهجية في كشف الأبعاد والمرامي التي يتضمنها الكتاب، وغالبا ماتكون الرسائل المبعوثة مشققة، لأن أزمة الوعي عند المفكر تمارس كسلطة قسرية على قدرة الكتابة لديه، فيعمل الوعي الظاهري على مقاومة إغراءات الباطن المتكررة بالتسّير، أو إخفاء الكثير من الرسائل، ولذا ستكون هذه الدراسة مجرد محاولة في قراءة بعض الأبعاد التي تضمنها كتاب "ايتوبيا" لتوماس مور، إذ تضعنا ايتوبيا أمام استشكال أولي يبدأ برمزية الدال، كمجموعة من الوحدات الصوتية، المحكومة بنظام صرفي ونحوي (فونيم وصرافم)، وبمدلول كمتصور ذهني ناتج عن وقع الفونيمات على طبلة الاذن، فهو انطولوجيا يفترق الى هوية دال، أي الى استقلالية في البناء الصوتي للكلمة، فهو دال مركب من لفظتين ou وتعني اللا و topos وهي المكان.

نبدأ البحث في آفاق الجزء الاول من الاصطلاح ألا وهو اللا no- الذي يشير الى الرفض، والرغبة في التجاوز، إذ تعكس فلسفة الرفض التوجه النقدي، والذي يترجم أحيانا بفلسفة اللا La Philosophie du Non، والرفض المتضمن في العلامة "لا" هو فعل وممارسة، وليس تصوّرا سكونيا للعدمية، التي تمنح الكلمة بعدا انطولوجيا ف "لا" كعلامة تستبطن مجموعة من العناصر تكون أو تشكّل الطرف الاول في معادلة الرفض، وهي الفرد او الجماعة في سياقها العام أو الجماعة في الصورة المؤدّجة، والتي تكون كمؤسسة رافضة تمارس فعل التعالي، أو الاستياء من وضع قد يكون موضوعيا أو ذاتيا، وهو ما يكون ممثلا في الجزء الثاني من العلامة، والذي هو المكان "topos".

أخذ الرفض عبر مسار الفكر الانساني صورا متعددة ومتباينة، والموقف الديني كمخاض فكري على قاعدة افتراض اجتماعية الدين يقوم على لحظة الرفض التي يعايشها الانسان في واقعه السكوني، والذي يكون بطبيعته السكونية تلك جزءا من ماهيته، وعائقا أمام طبيعته أيضا، لأن السنخية الانسانية تتأرجح بين السكون وبين الحركة نحو الافق المستقبلي، والمنظومات المعرفية التي عرفتها البشرية من دين، وتفكير ديني الى نظريات فلسفية، وعلمية تبدأ كلها من لحظة الرفض والتجاوز، او من كلمة (لا) فتاريخ الفلسفة بدأ بقول : كلمة لا للمألوف لا للمعتقدات او الحقائق المبنية، فالحركة نحو الافق مع (اللا) وليس مع (ال نعم)، لأن الموقف الثاني استسلامي بالروح والمهابة، فالحظة السقراطية في تاريخ الفلسفة تمثيل لمشروع ايطوبي سعى فيه سقراط الى إعادة بناء الحلم الانساني، أو المطلوب من الوجود خلال الوجود، فالحقيقة داخل الفرد، وليست تلك الحقيقة الجاهزة المؤسسة من طرف السلطة الموضوعية وكذلك الحال بالنسبة في المشروع الديني، حيث نجد المشروع المحمدي من خلال النقد والتجاوز يسير نحو عالم ايتوبي على أرض الواقع، قبل العالم الاخروي. أما الخلط بين الايتوبيا الارضية في الاسلام، والاييتوبيا

¹ علي شريعتي، الامة والامامة، ترجمة ابوعلي، مؤسسة الكتاب الثقافية، ص: 19

الملكوئية، ليس إلا نتاجا لالتباسات فكرية ولغوية وقع فيها رواد الفكر الاسلامي، فالقول بعجز المؤمن عن التشبه او الاقتراب سلوكيا من الرسول محمد (ص) ليس إلا تكريسا بقبول الواقع السلوكي والاخلاقي الرديء الذي لا زلنا نستحم فيه يوميا، فإمكانية تحقيق ايتوبيا ارضية مسألة بديهية، لأن في انكارها انكار للجميع المشاريع الدينية.

والتعاطي الفلسفي مع المكان كمكّون لفظي ثان في الكلمة يضعه امام تجاذبات متباينة من حيث الطبيعة، ومن حيث الغاية المفهوم الذي يحمل عليه المكان في الفيزياء يغير الدلالة المنوحة له في حقل الرياضيات، فهو في الحقل الأول يملك أبعادا حسية محددة : طول، عرض، ارتفاع، بروز. والسخرية الطبيعية مائز للتصور عن الاستعمال الذي يأخذه المفهوم في الرياضيات، فهو مكان مجرد ومنتوج ذهني يبدعه العقل، بمنح تمثلات ذهنية خطوط، مستقيمات..لاتمت الى الواقع الحسي بأية صلة، وفي الحين نفسه تنطبق بشكل عجيب وغريب هذا الواقع إذا جاز الاستئناس بعبارة البرت اينشتين.

أما المكان الاجتماعي، أو ما يمكن التعبير عنه بالمخيال الرهطي للمكان، الذي هو بالأصل نتاج للمقصود من المكان في فلسفة الايتوبيا، كمجموعة من التصورات، والأنظمة المعرفية المتوارثة التي كانت من حيث المبدأ مواكبة لطبيعتها المتغيرة، والارتكان الى التسليم بها عند الجماعة يؤسس لمطلقية هذه الأحكام، فالنظرة الى المكان والى المتمكّن أساس التصادم بين بني البشر، من حيث تجذير الارتباط العاطفي مع المكان، والفلسفات السياسية تضع المكان الظاهر كركن مادي رئيس في تأسيس المجتمع المدني للدولة، كما يكون باطن المكان كثروة اقتصادية منطلق الصراع بين الدول، وموضوع استراتيجية في استيلاب الشعوب أو الامم، وعليه نجد أن الايتوبيا المورية، محاولة نقدية للموروث الثقافي الذي كان سائدا في مجتمعه بشكل عام، وفلسفة المكان بوجه أخص، وقصة توماس مور مع الملك هنري الثامن، والتي كانت سببا لإعدامه تؤكّد هذه النزعة الراضية للموروث السائد.

المكان في الاطروحة المورية بناء ذهني وعقلي في آن واحد، والفرق المقصود بينهما يظهر في تقاطع الذهني مع الوهبي أحيانا، أما العقلي فغالبا ما يكون ساميا على القوة الوهمية، وإن كان الحضور العاطفي في ما هو عقلي ظاهرا في كثير من الفنون اللغوية مثل الأدب، فالمكان إنتاج الحكمة لعالم حكيم من طرف حكيم، كما يمكن قراءة الآفاق التي تستبطنها الايتوبيا كاصطلاح وكون أدبي جديد على قاعدة ارتباطها بفكرة اكتشاف العالم الجديد، فأدب الرحلات وإن كان قديما على ظاهرة اكتشاف العالم الجديد، فتصوّر المكان الايتوبي على شكل جزيرة يتضمن محاكاة للجنين الذي يعيش في عالم الرحم، فهو براءته أصل الحياة، ومرجع الحياة السعيدة، فالادب الايتوبي يضع المكان النموذج خارج المعطيات المكانية والامكانية التي يقدّمها المعيش، فهو إبداع وتأسيس نظري وفلسفي، وليس معطى الواقع، فالتعالي على العادات والارتباطات الاجتماعية مع المكان، ضرورة للارتقاء، وللحصول على مكان السعادة الاوتوبياeutopia، والذي يتم من خلال الايتوبيا Utopie.

الأبعاد الدلالية التي تحملها الايتوبيا كفلسفة جديدة في نظرية المكان كثيرة، ومتعددة، فالبعد الوظيفي للمكان أهم، وضروري في قيام المجتمع الايتوبي، ولناخذ مدينة الشمس لكامبانيا على سبيل

المثال إذ يغلب على الجدران كبعده مكاني الطابع التعليمي، فكل جدار متخصص في منظومة معرفية معينة، والتقارب الموجود بين الجدران يكشف عن البنيات المعرفية التي تتقاطع فيها هذه الحقول المعرفية، وكأنك عندما تسير في هذين هذه الجدران، تستذكر العبارة الغالية: الطبيعة كتاب مكتوب بلغة رياضية" أي ان الطبيعة كتاب معرفي منظم، فالمكان خارطة معرفية لتنظيم الفكر، فالستار كأداة مادية متمكّنة، يملك حضورا تربويا وديداكتيكيا إذ يحفظ صوت الواعظ من الشتات، فالأطر المكانية وظيفية في بناء الانسان او المواطن الصالح، يقول: " في الجدران الخارجية للمعبد، تجد الاستر التي تحفظ صوت الواعظ من الضياع".¹

نجد في الكتاب الاول من ايتوبيا لتوماس مور الاشارة الى أهمية الحضور الفلسفي في الممارسة السياسية يقول مور: "يبدو لي انك ستفعل ما هو جدير بهذه الروح الكريمة الفلسفية التي تنسم بها إذا دبرت حياتك بحيث تضع مقدرتك في خدمة الصالح العام، حتى ولو كان في ذلك ما يضيرك شخصيا بعض الشيء، وهذا ما لا يمكن ان تحققه بهذا القدر الا إذا كنت مستشارا لملك عظيم".²

الأمل في الفلسفة كمرجعية نظرية، وكأداة إجرائية في تغيير الوضع المعيش، من المسائل التقليدية في الأنساق الفلسفية التقليدية، والمشروع الافلاطوني نموذج عالمي لهذه الدعوة، والسير توماس مور يلمح في الكتاب الاول من رواية ايتوبيا لأصالة افلاطون، وللصعوبات التي اعترضت افلاطون، والتي كلفته حريته، وأخطر شيء في نظر أفلاطون هو المخيال، إذ يشير في الرسالة السابعة أثناء اقامته في سراقوسه، حينما اراد معرفة تأثير الفلسفة في قلب دنيس، فوجد ان الحاكم لطاغية كان قد آلف لنفسه نوعا من الافلاطونية الملية بأفكار مفهومة بشكل سيء: " علمت ان دنيس الف بنفسه مكتوبا مما سمعه من فهي "فإدارة المجتمع المدني لا تقوم إلا من خلال منظومة فكرية أو أدلوجة محددة تحدد طبيعة العلائق القانونية بين الحاكم والمحكوم، وترسم آفاق المجتمع، وتؤكد على اولويات الارتقاء بالمجتمع والسير به نحو تحقيق السعادة، وبما ان المرجعية التعقيدية لمسألة السعادة تؤخذ غالبا من الفلسفة، أصبح من الضروري واللازم الاعتقاد في ضرورة اعتبار الفيلسوف المستشار المركزي في السياسة

كيف نقرأ الايتوبيا؟

يضعنا السؤال في موقع المراجعة لجميع القراءات التي أخضعت لها الإيتوبيا، فهي مشروع سياسي حالم وحامل لمشروع مجتمع فاضل ونموذجي، وبديل للظروف الاجتماعية السيئة، عند المدرسة الاشتراكية، وهي عند بعض المفكرين ليست إلا تسلطية متنكرة، مؤسسة على ايديولوجية شمولية، وكليانية.

يبدو أن أغلب هذه المواقف، أو القراءات تنطلق من محطة ذاتية قيمية، تسقط فيها ارهاصات، وحمولتها الثقافية على النص الايتوبي، وقد يجد في طبيعة النصّ الإنساني كل باحث عن أدلوجة سياسية

¹ Tommaso campanella, la cité du soleil, trad: arnaud tripet, librairie droz geneve, 2000, p7

² توماس مور، يوتوبيا، ترجمة انجيل بطرس سمعان، الهيئته المصرية العامة للكتاب، مصر ط: 2 / 1987 ص: 98

أو اجتماعية، فتصنيف نماذج القراءات التي أخضعت لها الايتوبيا الى قراءات واقعية وقراءات مجازية لا يجانب الصواب، إذ نلمس في القراءة الواقعية للايتوبيا المورية اسقاطا للدلوجة على النص، حيث حجز السوفيات مكانا لتوماس مور في مدفن عظماء الثورة وسجل اسمه على نصب تذكاري في الساحة الحمراء بموسكو، وهي نموذج حي لقراءة واقعية اسقط فيها الفكر تصوراته ورؤيته الكونية على هذا النمط الادبي، أما القراءة الواقعية الثانية فتظهر في تطويب توماس مور من طرف الكاثوليك في عام 1886، وجعله قديسا في عام 1935 . وستكون قراءتنا للنص الايتوبي مجرد توصيف، واستنطاق للنص من خلال مسح تاريخي للمسار الجينيالوجي لفكرة الايتوبيا..

الايوتوبيا و أفاق الاستعمال :

قراءة الايوتوبيا من خلال تصنيفها الى ايتوبيات Utopies، أو الى ايتوبيين Utopistes يطرح الكثير من المسائل الخلافية حول جنس النص الايتوبي، والتباين في القراءات يؤكد هذه الصعوبة، فالبعض يضع الايتوبيات في صنف الايديولوجيات القاتلة، والشمولية، والتي تغيب فيها الحرية الانسانية، في حين يجد فيها البعض المنبع الرئيس للزعة الانسانية، وسنحاول قراءتها من خلال نوعية المضامين، وطبيعة المشاريع التي تأسست عليها، وهي :

ايوتوبيا العلم والتقنية :

العلم قوة، عبارة أسس بها فرانسيس بيكون، ملامح عصر جديد يتسم بالتجاوز، والرغبة في تحطيم كل منظومة لاهوتية أو ميتافيزيقية، تعمل على إعاقة الارتقاء، والتعاطي الارادي مع ملكات العقل، وقد أحسن بيكون توصيف هذه العوائق بمنظومة الاصنام أو الأوهام التي تحجب الحقيقة عن الحس المشترك، وعن مدعي المعرفة، والتي هي : أوهام الكهف، السوق، المسرح، القبيلة...، والملفت للنظر في الأصنام التي قدمها بيكون، الارتباط القائم بين الذاكرة العامة، والأصنام، وقد شكلت مقاومة الذاكرة العصب الرئيس في الفكر الحديث، إذ نلمس في قراءتنا للعلامة والبدال الحامل لمضمون الصنم، إشارة مكانية، أو تعبير عن موقف من المكان، في لغة مكانية، فالكهف دالة مكانية تعكس الظلمة العتمة، بدلالة حسية، أما الدلالة الرمزية المحمولة في الرمز هي الغموض، والتهيه عن الطريق السليم، " .. فكانت أصنام الذهن في نظر بيكون الوجه السلبي للذاكرة الأثرية، والعلم بالنسبة له هو نسف تلك الأصنام واتخاذ منهج جديد لا يتوكأ على غير التجربة..."¹، والعلم كمطلب اجتماعي، وأمل في الارتقاء بالبشرية الى مصاف الملائكة يظهر عند بيكون من خلال كتاباته الاورغانون الجديد، واطلنطس الجديدة.

"اطلنطس الجديدة " لفرانسيس بيكون، توثق للحظة الحلم بتأسيس المجمع أو الهيئة العلمية العالمية، وهي مؤسسة تتكفل بمسألة البحث العلمي، والمشاريع التقنية الهادفة الى الارتقاء بملكات الانسان، والانتقال بها من عالم الامكان الى عالم المكان، وقد أقام بيكون المؤسسة في مدينة بن سالم، التي يعمل علماءها على الجدّ في اقتناص، وصيد المعارف، إذ تضم هيئة علمية تعمل على البحث العلمي، وتفعيل الاختراع، لأن الحياة النموذجية لا تتحقق إلا بالعلم والتقنية، فالنزوع الى الاستقرار، والبحث عن السعادة، أصل فطري في الطبيعة الانسانية، وليس وضعية ثانوية، فالإنسان الصانع وجد قبل الانسان الحكيم، لان الكمال الانساني الحاصل بواسطة التقنية لا يحتاج الى إثبات، وإن كانت المسائل المترتبة عن توظيف التقنية لا تعد ولا تحصى، ولكن مرجعية السلب الذي الحق بالتقنية تعود الى طغيان الذات بحمولتها الغرائزية في استثمارها، وأمثلة " بروميثيوس Prométhé " تستبطن رغبة الانسان في الحصول على التقنية لتحقيق السعادة المنشودة، لأن اكتشاف النار لحظة تحوّل وانتقال من مستوى البدائية الى مقام التحضر الانساني، فأهمّ خاصية مميزة للمكان المعيش هي النقصان، أما المكان المتخيّل فهو عالم

¹ داريوش شايغان، الأصنام الذهنية، ترجمة: حيدر نجف دار الهادي، بيروت الطبعة الأولى 2007 ص: 32

يَتَسَمُّ بالكمال، والمعبر الذي ينقل المكان من عالم النقصان الى عالم الكمال هو التقنية التي جسدها، ومثلها الانسان بتضحية بروميثيوس، الرمز والملاك الأعلى الذي يضع المصلحة الانسانية فوق كل اعتبار. التقنية كمطلب حضاري، وإنساني هي المخاض، والتجسيد الفعلي لعملية التفلسف، ويعتبر غاليلي المرجعية العلمية لجل النظريات الفلسفية المشيدة بعالم التقنية، ومن اهم الايتوبيات التقنية كتاب "مدينة الشمس" للراهب تومازو كامبانيا، والذي يجعل من الشمس مركزا رئيسا لفلسفة المكان، والمحرك كبديل لمركزية الأرض، وقد تصور كامبانيا مدينته: "بديلا لمدينة الله.. كان كامبانيا راهبا ارضيا وشمسيا على ما يبدو، مشغولا بالسياسة وبالعامل ضد السيطرة الاسبانية على ايطاليا، على الرغم من كاثوليكية اسبانيا وايطاليا معا".¹

إذا كانت العدالة والحرية والمساواة قيمت مشتركة بين جميع الايتوبيات، فإن الجديد في مدينة كامبانيا هو المشروع العلمي والتقني الذي كان يطمح لتأسيسه، فالمدينة بدون قواعد علمية، وبدون تقدم تقني تكون عاجزة عن تحقيق هذه القيم، والطريف في المدينة هو الشمس أولا، والعلم ثانيا، فقد وضع كامبانيا الشمس المركز الرئيس في مدينته، وقد استعاض بالشمس عن مدينة الله، على قاعدة النور النابع من الشمس، فهي تلك الكتلة النارية التي تبدأ بها ومعها الحياة.

البعد التأويلي الذي تفرضه مدينة الشمس، أو بالأحرى الأبعاد المتعددة التي تفترضها القراءة المفردة، والقراءات المتباينة تظهر في الترميز الذي وظفه كامبانيا في بناء، وهندسة المدينة المفترضة، مدينة الاخلاق، والمؤسسة السيادية التي تتجلى من خلالها الدولة، فالملك أو الحاكم في المدينة هو الشمس، وهو الرمز "الذي بات مركزيا منذالبولوني كوبرنيكوس، الذي ربما كان يستعيد عن طريقه رأي ذلك الفيلسوف اليوناني الذي قال ان النار هي مصدر الوجود.."²

الحاكم في المدينة ليس إلا تعبيرا عن الأصل اللاهوتي للكون، الذي هو الله، مصدر الوجود، والحياة، أوالتعبير البشري عن الروح الالهية، او قل كلمة الله، يقول: "يري البحار الجنوبي: لهم أسقف يسمونه الشمس، ويسمى في لغتنا الماورائي، وهو الضليع في علوم الطبيعة وهو رئيسهم الروحي والدنيوي على السواء، وكل القرارات بيديه".³

يتميز أهالي المدينة باهتمامهم العلمي، وميلهم الى اختراع الأجهزة التقنية الضرورية للارتقاء والتحضر، وعلى قاعدة التكوين المعرفي الذي يتلقاه المواطنين، التكوين القائم على ديداكتيكية الصورة والايقونة، او العلامة بالمفهوم السيميائي، فتوزيع الصور والعلامات في الجدارية التي تغطي الجدران يقوم على أغراض تربوية، يوزع فيها كامبانيا المعارف الأولية لتأهيل المواطنين لاختراع وابتكار تقنية تمثل وسيلة الانسان والمطلب الذي يطمح اليه البشر، وتقع هذه الدلالة في الدائرة السادسة، التي ترمز فلكيا الى

¹ محمد كامل الخطيب، الرواية واليوتوبيا، دار المدى سوريا، 1995. ص: 84

² محمد كامل الخطيب، الرواية واليوتوبيا، مرجع سابق، ص: 90

³ Tommaso campanella, la cité du soleil, trad:arnaud tripet, librairie droz geneve,2000,p6

الالم، وإلى الخطيئة، كما تشير أيضا إلى العمل والانجاز، على قاعدة اليوم السادس، يوم الخلق، ولذا نجد توظيف كامبانيا لللدلالة على التقنية، " إذ يستخدمون عربات مزودة بأشعة تدفعها الرياح حتى ولو كانت تهب في اتجاه عكسي، وذلك بواسطة اختراع عجيب لعجلات تدور داخل عجلات".¹

كما يلمس الامكان التاويلي للعلامة داخل النص المصور، ففي جدارية معينة نجد الشخصيات الدينية، رغم تباين معتقداتها الدينية والثقافية، نجد النبي محمد (ص)، موسى، وعيسى عليهم السلام. والجمع بين الانبياء الثلاثة، وخصوصا النبي محمد عليه السلام مؤشرا عاليا على فعل التأويل، فكيف يقرّ راهب دومينيكاني، بضرورة اطلاع ابناء المدينة على عقيدة نبي الإسلام، فكثير من الباحثين يعتقد ان إشارة كامبانيا لم تكن إلا لضرورة معرفية فقط، ولكن قراءتنا للنص تفتح مجالات عديدة في نظرنا للتأويل، خصوصا أن السيرة الذاتية للفيلسوف تؤكد مانقول، حيث أن التعذيب الذي عايشه من طرف الكنيسة، يشير في نظري الى وجود علامة دالة على عقيدة الفيلسوف الكونية، أو التوحيدية، يقول: "يوجد في داخل الدائرة السادسة جميع أنماط الحرف، مع الإشارة الى مبدعها، كما توجد أيضا التقنيات المستعملة في كامل العالم، وفي الخارج نلاحظ خيرة المشرعين، في الحقل العلمي، والمبتكرين للأسلحة، كما رايت في الجدارية موسى، اوزيريس، جوبيتر، محمد".²

قابلية النص الايتوبي للتأويل، كامنة في بنية النص ذاته، فلغة النص، تفتح من الأفق التأويلية على اكتشاف التصورات الجينية للابتكارات العلمية، والتقنية كمنظومة علمية تعكس الإمكانيات العملية في تحويل القوانين النظرية الى واقع مرئي، القوانين التي كانت مجرد أحلام تراود الفكر النخبوي داخل المجتمع، والذي تعبر عنه شريحة الايتوبيين، والمجال الأدبي يختلف في كثير من الأمور عن الدلالات المكتشفة عبر كتابها، كما يمكن اعتبار ملمح الاختلاف في تقييم النص دليلا على انفتاح النص الايتوبي .

¹Ibid p10

² Ibidp 09

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. العهد الجديد
3. الخازن، علاء الدين بن علي، تفسير الخازن، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان
4. الرومي (جلال الدين)، مثنوي، ترجمة عبد السلام كفاي الجزء الاول، المكتبة العصرية بيروت الطبعة الاولى 1966
5. بازي (محمد)، العنوان في الثقافة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر الطبعة الاولى 2012
6. تييري باكو، طوبيا والطوباويون، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفارابي بيروت ط.1-2008
7. شريعتي (علي). الامة والامامة، ترجمة ابوعلي، مؤسسة الكتاب الثقافية (د.ط.ت)
8. كامل شياح، اليوتوبيا معيارا نقديا، ترجمة سهيل نجم، دار المدى، سورية الطبعة الاولى 2012
9. محمد كامل الخطيب، الرواية واليوتوبيا، دار المدى سوريا. 1995
10. مور، توماس، يوتوبيا، ترجمة انجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ط: 2 1987
11. البستاني عبد الله، البستان، ج 2 المطبعة الأميركية، بيروت، 1930، (د،ط)
12. صليبا، (جميل) المعجم الفلسفي الجزء الثاني، دارالكتاب اللبناني، بيروت، 1982 (د.ط)
13. مجلة فصول - المجلد السابع العددان الثالث والرابع سبتمبر 1987
14. مجلة العرب والفكر العالمي - العددان 19/20 سنة 1992
15. المراجع باللغة الاجنبية:
16. Erasme .Eloge de la folie, trd: marie delcourt.flammarion paris 1987.p.8
17. Jean Yves Lacroix, utopie et philosophie,Bordas Paris 2004.
18. Tommaso campanella, la cité du soleil, trad:arnaud tripet, librairie droz geneve,2000.